

إضاءات نقدية (فصلية محكمة)

السنة الخامسة - العدد السابع عشر - ربيع ١٣٩٤ ش / آذار ٢٠١٥ م

ص ٧٧ - ١٠١

## النيرفانا في الغزل العذرى على أساس النقد النفسى الحديث (أبوبكر محمد بن داود الإصفهاني نموذجاً)

روح الله صيادى نژاد\*

فائزة بسندی (الكاتبة المسؤولة)\*\*

### الملخص

كان الغزل العذرى حياً في العصر العباسى رغم وجود الشعراء الذين ارتفعوا عن الحس المادى وعاشوا في حبهم معيشة طاهرة نقيّة وعلى رأسهم محمد بن داود الإصفهاني المعروف بالظاهري. فهو نتاج تربية إسلامية صافية امتزجت فيه التعاليم الدينية بروح إنسانية فتجت عنها هذه العفة و"النيرفانا" من أهم ميزاته ويمثل انعطافاً واضحاً في تيار الشعر العربي، لأنه وضع غرضاً شعرياً متميزاً وكان حافظاً لأساليب الشعر الموروثة، كما تأثر بالحضارة الإسلامية والثقافات الأخرى آنذاك. سعت هذه الدراسة أن تبرز بعض معالم التربية الروحية المشتركة عند البوذية والإسلام وأهمية الحياة الروحية ومكانتها عند الديانتين؛ وتدور حول وسائل العملية لتحقيقها ثم أساليبها لتجرد النفس عن رغباتها وتحقيق الوصول إلى الذات الإلهية. ومن أهم عناصرها الموت، الألم، تعطيل الإرادة، الصراع النفسى والمازوشية. هذا والمنهج الذى التزمناه في بحثنا توصيفياً تحليلياً ويعتمد على مناهج الدراسات الحديثة في النقد النفسى الحديث ويمكن معرفة الأجواء الأدبية المسيطرة على العصر العباسى من خلال النقد النفسى لأشعار الإصفهاني كما سلطنا في هذا البحث مسلك النقد والتفنيد. إذن دراسة دقيقة لأشعاره توضح قيمة هذا الشعر من الناحية الفنية واتجاهه العفيف في معالجة هذا الجانب الشعرى المتميز.

الكلمات الدليلية: الإصفهاني، النقد النفسى الحديث، الغزل العفيف، النيرفانا.

j\_rs1359@yahoo.com

Faezehpasandi@gmail.com

تاريخ القبول: ١٣٩٤/٢/١٨ ش

\*. أستاذ مساعد بجامعة كاشان، إيران

\*\* . طالبة مرحلة الدكتوراه بجامعة كاشان، إيران

التنقيح والمراجعة اللغوية: د. هومن ناظميان

تاريخ الوصول: ١٣٩٣/٥/٥ ش

## المقدمة

من مهمات النقد الأدبي مواكبة الأثر الفني لمعرفة أسسه الفنية والإبداعية في جوانبها التاريخية والسيكولوجية والإجتماعية واللغوية. يحاول النقد النفسى العربى الحديث الدخول إلى دراسة الكثير من القضايا الفنية في التراث العربى القديم؛ وأيضاً فهم أسرار الأدب عن طريق نظريات علم النفس مرتكزاً على إستنطاق منطقة اللاشعور وهى مركز تخزين تجارب الحياة النفسية. (شكرى، ١٩٨٤م: ١١٩) هكذا يعتقد علماء النفس<sup>١</sup> والباحثون في اللغة العربية وآدابها، أنّ الباحث ينبغي أن يطالع ما كان له أثر في آداب العصر كتاريخ الأدب والقضايا السياسية والثقافية والمؤثرة في البواعث النفسية حتى يقدر على تحليل الشعر تحليلاً نفسياً.

ومن المزهرات الشعرية في العصر العباسى، إزدهار أنواع الحب في هذا العصر وتبيين انحائها قصداً إلى الشهوات الرائجة ونمو الثقافات اللادينية التي حذرت المجتمع الإسلامى بحذافيره ولذلك شاع الغزل في شتى مستوياته، فشاع الحب العذرى (العفيف)<sup>٢</sup> والإباحى بكل درجاتها لكن هناك بعض الشعراء كانوا يحافظون على قدر كبير من الغزل العفيف والحشمة والحياء. (آدرشب، ١٣٨٢ش: ٢٠٤-٢٢٣) ويتميز هذا الغزل بعفة اللسان وصدق الصباية وطهارة المعنا ورقة العاطفة وعنقوان الشوق مع نعمة حزينه وشيوع الفاظ ومعان حضارية مستجدة والميل بأسلوب السهل السلس. (الإصفهاني، لاتا: ٢٥)

إذن الغرض من هذه المقالة وأهم ما استوقف هذا البحث، أولاً: تصريح بين لماهية وعناصر الحب العفيف والغزل العذرى الذى يؤثر في نفسانية شعر الشاعر في ضوء النقد النفسى الحديث (السيكولوجى). ثانياً: ما هى المضامين الأصلية في شعره وهل إنعكست فيه خصائص الأدب العباسى؛ ثالثاً: معرفة أهم ميزاته المسمى بـ"النيرفانا" وجذوره وهو يعتبر من أهم ميزات الغزل العذرى وتعتبر مصدراً هاماً من مصادر الصوفية وهو الميل إلى العزلة عن الدنيا وملذاتها والحياء والنقاء الناتج عن التربية الإسلامية والإنصراف إلى التأمل والفناء الذاتى لوصول المحبوب.

---

1. Psychologists

2. Love virgin

المنهج المتبع في هذه الدراسة هو المنهج الوصفى التحليلى والفنى النفسى ويرتبط بالمجتمع من ناحية وبالنفسية من ناحية أخرى. وهذا مقصد لم ينظر إليه كثير.

### خلفية البحث

ومن بعض الدراسات المرتبطة: "الغزل في العصر العباسى" رسالة ماجستير لفضل الله السيد عبدالرؤوف (١٣٢٧ق)، "شعر الغزل العذرى في العصر العباسى شعراؤه واتجاهاته الموضوعية والفنية"، للباحثة لينا عبدربه خورشيد الشخشير (١٩٩٨م)، "معالم التجربة الروحية بين البوذية و صوفية الإسلام دراسة مقارنة"، للباحثة ماشطة أحمد (٢٠٠٧م)، "دراسة الحب في الأدب العربى" للدكتور مصطفى عبدالواحد (١٩٧١م). فإن دراستنا هذه مبنية على النقد النفسى (السيكولوجى) الحديث وهذا مقصد لم ينظر إليه كثير من الدارسين وأن في الدراسات المشار إليها أنفاً لا يوجد أى بحث أو مقال قام بدراسة الغزل العفيف لهذا الشاعر وتحليلها في العصر العباسى ويبدو أن هذا المقال يحمل في طياته شيئاً جديداً.

### معرفة الشاعر وخصائص عصره

كان أبو بكر محمد بن داود الإصفهاني (٢٥٧-٢٩٧هـ) إيراني الأصل، ولد ببغداد وهو من أكابر الفقهاء واللغويين والعلماء والمحدثين والقضاة والشعراء في العصر العباسى في إزدهاره وله منزلة عالية ومكانة خاصة في هذا العصر وهو في سن مبكرة وكان من المقبولين بالحجاز ومصر والشام والعراقين وبلاد خراسان كما نعته ابن الرومى بـ"فقيه العراق". (الخطيب البغدادي، ١٩٣٢م: ج ٥/٢٥٦) فله مصنفات مختلفة في المذهب الظاهرى. له كتاب سمي بـ"الزهرة" وأيضاً أتى فيه من نوادر وذكر فيه من أشعار خاصة في غزل العفيف كما أشار إليها ابن خلكان، حاجى خليفة وابن الجوزى. (حاجى خليفة، ١٩٤٦م: ج ٢/٢٠١٤)

وأراد أبو بكر أن يرسم من خلال قصائد هذا الكتاب حرارة الشوق وأعماق الحب الذى تصاعدت براعمه فى نفسه، وانعكست آثاره ومرائر الحرمان الذى يعانیه ويهوى حبيبته بعين قلبه لا هواه وغرماً مدنفاً متيمماً قولاً وفعلاً وجسداً وحساً ومجاهداً لغرض النفس وغصص الحب والوشاية العواذل، ووفياً أميناً لا يخون العهد ولا ينقض الميثاق.

(الصفدى، ١٩٤٩م: ج ٣/٥٨)

وفي هذا العصر كان للإيرانيين دور كبير في النهضة الأدبية ولاسيما للغزل العفيف دوراً هاماً والحبّ من أهمّ مضامينه فهو يصدر عن نفس طاهرة عفيفة تحن إلى السمو الروحي والطهر النفسي والجمال المطلق وتنشد ألحان الشوق واللوعة معبرة عن الحنين. (آذرشب، ١٣٨٢ش: ٥٩-٤٧)

وهناك العلاقات الثقافية بين العرب والهنود وكانت للفتوحات الإسلامية لبلاد الهند أثر هام في إمتزاج العنصر الهندي بالإسلامي فكانت هذه العلاقات قوية في العصر العباسي وكان الثقافة والفكر الإسلامي قد إتصل بالحضارات والثقافات الأخرى بعد ترجمة الكتب المختلفة خاصة عن الهندية وكل ذلك كان له أثره في ابن داود فهو متمسك بالثقافات، طليق الأفق وكان الإتجاه الصوفي من الإتجاهات السائدة في فهم طبيعة العشق في عصره لكثرة إنغماس الناس في الترف والتصوف الإسلامي نشأ في بيئة إسلامية وهو يمثل جانباً من الفكر الإسلامي إتصل بالثقافات الدخيلة والمترجمة كالفلسفة اليونانية والهندية وإستفاد منها. (عبدالواحد، ١٩٧١م: ٥٤-٦٨)

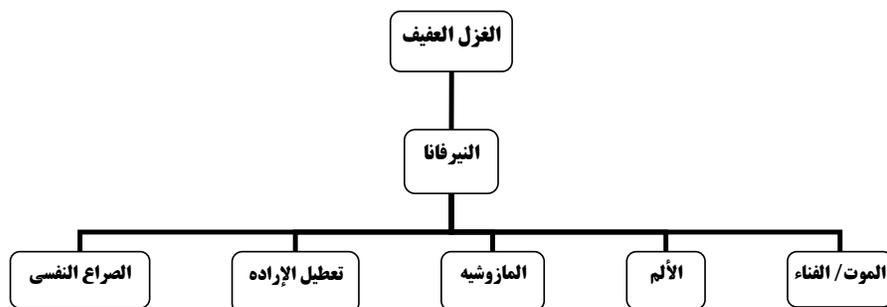
ومن الملاحظ أنّ الدراسات الفقهية والتشريعية والمذاهب الفقهية الأربعة نشطت؛ فالفقهاء يجتهدون ويتناظرون ويختلفون ويكثرون من التأليف والمصنفات مما أدى إلى ظهور مذاهب فقهية ثانوية إلى جانب المذاهب الأربعة الكبرى ولكلّ مذهب مجموعة كبيرة من أساتذته وشيوخه يذيعونه في العالم الإسلامي ومنها المذهب الظاهري نسبة إلى أبي سليمان داود بن علي بن خلف الأصبهاني الظاهري وهو يقوم على إنكار القياس في الدين ومسائل التشريع، لأن القياس عقلي والدين إلهي، ومن أجل ذلك كان يرى الوقوف عند ظاهر الكتاب والسنة وعدم فتح الأبواب للقياس والآراء التي تنبثق عنه. (آذرشب، ١٣٨٢ش: ١٦٨)

وأخذ "الزهد" ينمو سريعاً منذ فاتحة هذا العصر حين انتشرت موجة الفساد والتحلل الخلقى في المجتمع الإسلامي آنذاك، إذ أصحابه -ومن أهمهم الإصفهاني- يتحدثون عن الحب الإلهي وأحواله والنشوة به إلى درجة الفناء في الذات العلية ويصوّرون العشق ولوعة الحبّ في القلوب ومشاعرهم. (المصدر نفسه: ١٦٩)

## الغزل العذرى (= العفيف، الروحي)

العذرى نفس ممزقة بين الانجذاب المادى للجسد والتعلق الروحي بالمحوب من حيث هو إنسان بالروح قبل الجسد وما العفة في شعرهنّ إلا نتيجة تلقائية للإيمان بالقيم الإسلامية. أمّا التّمنع عند المقدره على الوصال وهو ما يسمّى عادة بالأفلاطونية في الحب، تعبير عن عواطفها وأحاسيسها الإنسانية التي فطر عليها إلا أنّ التّطبع والتّخلق بأخلاق الدين والتّحلى بسمات مهذبة يجعلان هذا الحب متعفف مترفع يسمو في حبه عن العلاقة الجنسية والحق أن أصحاب هذا الحب شطحوا شطحات صوفية في أشعارهم ونظموا ما يسمّى بالحب الإلهى أو العشق الإلهى. (اليوسف، ١٩٨٢م: ١٦)

فالعشق كما يعبر عنه ابن حزم الأندلسى في المفهوم العربى ذو روحية نابعة من طبيعة الحضارة العربية الإسلامية ذات الصبغة الروحية والجذور العميقة ولها روح الأسطورة والحب العذرى أصل للمفهوم الروحاني لماهية العشق الحىّ عند العرب وهو ضرب من التصوف الإسلامى والصوفية بدأت من حيث إنتهت العذرية. (الأندلسى، ١٩٣٠م: ٦٠) وهنا نشير إلى الدراسة المقارنة عن الطرق والأساليب لتحقيق النيرفانا، هذا الهدف الأسمى والغاية القصوى في التعاليم البوذية، وعند الصوفية وبعض مواضع التشابه والإختلاف بينهما:



إنّ النيرفانا يعتبر من أهم ميزات الغزل العذرى وهو أسمى حالات الوجود في البوذية<sup>١</sup>. تدعو البوذية إلى الإعتزال الكلى عن جميع شؤون الحياة في تملك الأموال والإبتعاد عن الناس وعدم التلذذ بالرغبات للوصول إلى النيرفانا. (نومسوك، ١٩٩٩م:

١. ديانة شرقية شاعت في الهند وأسسها بوذا.

٢٨٠) وتعتبر مصدراً هاماً من مصادر الصوفية فانتشرت في فارس وخراسان وما جاورها قبل الفتح الإسلامي وكان كثيراً من مشايخ الصوفية من هذين المدينتين لتأثرهم بجوارها وميلهم إلى العزلة عن الدنيا وملذاتها والإبتعاد عن الناس، إنصرفهم إلى التأمل والفناء الذاتي وإنقطاعهم إلى العبادة وعزوفهم عن الزواج والتبئل والإعتزال والمعاناة الإنسانية لوصول المحبوب فنجحوا نهجهم. (آذرشب، ١٣٨٢ش: ١٦٨) وهذا الرأي عند الصوفية مأخوذ من الآية الشريفة: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهُوَ زِينَةٌ﴾ (الحديد: ٢٠) كما ينشد الشاعر:

أَمِنْتُ عَلَيْكَ الدَّهْرَ وَالدَّهْرُ غَادِرٌ وَسَكَنْتُ قَلْبِي عَنْكَ وَالْقَلْبُ نَافِرٌ

(الإصفيهاني، لاتا: ١٧)

### النيرفانا<sup>١</sup>

إن كلمة نيرفانا كلمة سنسكريتية وغلبت على الفلسفة البوذية وبمعنى إنتهاء الشهوة أو الفناء التام للروح والجسد معاً أو خمود الحياة (الجسم و...) وبرودتها بعد حرارتها وتعتبر هدفاً أسمى للبوذي وعامل السعادة وليست سوى ثمرة من تأملات بوذا الطويلة ومجاهداته الشاقة لكي يدفع عن نفسه آلام الحياة كالمرض والشيخوخة والموت والرغبات. (موتوكان، ١٩٦١م: ٣٧)

تكشف الدراسة أن الطريق إلى نيرفانا ثلاثة: ١- مرحلة الإلتزام بالدين، الأخلاق والعمل الطيب ٢- مرحلة الرياضية النفسية والتأمل الذاتي ٣- مرحلة المعرفة والكشف والنظرة السليمة؛ وهي تحصل لمن استطاع أن يعيش حياة يسودها عدل كامل وصبر وشفقة على الكائنات جميعاً وعندئذ يجوز أن يجنب نفسه العودة إلى الحياة وسينتقل إلى غاية نبيلة وعالم آخر عالم لا يمت إلى الواقع بصلة. (سانج، ١٩٧٨م: ٤٠٦)

ومن الملاحظ أن الشاعر أنشد بالمفردات الدينية واسترشد ألفاظاً من الدين والقرآن قد يعود هذا إلى العقيدة النابعة من الاسلام التي دلّت على ثقافة دينية ويؤكد مدى تأثيره بالقرآن واستعانته به وبالعلوم الدينية وهي نتيجة نزعتة شكلاً ومضموناً:

1. Nirvana

إذا اختلط الظلام وهم سُكارى بكاسات الرقاد إلى الصباح

(الإصفهاني، لاتا: ٤٢)

الشرح: عندما ينشر الليل جناحيه على البسيطة نجد هؤلاء قد ركنا إلى نوم هادئ مريح لا ينغص عليهم نومهم ورقادهم أمر من الأمور؛ كما جاء في القرآن: ﴿وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى﴾ (الحج: ٢)

إذن النيرفانا العذرية تسامى للعذرى الذى كان يعيش صدام شبوب عاطفى مع هوية أصلية تناديه من الأعماق للإشباع الغريزى فتسامى العذرى عملية حضارية قوامها أن العذرى يتخلى عن النزعة الجنسية فى التماس اللذة الجزئية وإتخذها هدفاً آخر يتصل تكوينياً بما تخلت عنه الذات وبذلك توصف بأنها عملية ذات طابع نفسى اجتماعى جعلت العذرى يتسامى بذلك عن الأهداف الجنسية الشبقية التى هى فى نهاية الأمر أهداف أنانية إلى أهداف ذات طابع حضارى تضحى فيه "الأنا" بمطالباتها الغريزية من أجل بناء "النحن" بناء متكاملًا وبعبارة أخرى المراد منها القضاء على الفردية التى تذوب فى الروح الجماعية مؤدية إلى حالة من السكينة والسعادة الكاملة. (اليوسف، ١٩٨٢م: ٩) يقول الشاعر:

فى عفةٍ نتحامى أن يُلمَّ بها سوءُ الظنونِ وأن تغتالها الرِّيبُ

(الإصفهاني، لاتا: ١٧)

الشرح: حبنا فى عفةٍ، نبذل كل ما فى وسعنا أن يبقى دائماً، وألا يخترقه سوءُ ظنِّ الآخرين، وألا يقضى عليه الشكوكُ والظنونُ من قبل الآخرين. أو: وفتيانِ صدقٍ قد سمئتُ لقاءهم وعففتُ طرفى عنهم ولسانى

(الإصفهاني، ١٩٣٢م: ١٤٦)

الشرح: ربّ شبابٍ ذوى صدقٍ تعبتُ من لقاءهم وزيارتهم وغضضتُ عيني عنهم ولم أتكلّم معهم [أعرضت عنهم].

والإسلام قد عدل من مفهوم الحب فنقله من مفهوم حيوانى بهيمى إلى مفهوم روحى متسام أصله وقوامه الحياء والنقاء. كما أن تسامى العذرية أفرزه تغلب الحياء والنقاء الناتج عن التربية الإسلامية على توق النفس ذات الدوافع الشبقية. ولذلك فمن

مميزات الحب العذرى إعتقاد العشاق بقوة خارقة لا حول لهم ولا قوة في ردّها أو السيطرة عليها فيرتفع عنهم اللوم في كل أفعالهم وترفع عنهم المسؤولية. باعتبارهم مجبرون وخاضعون لسلطات العشق فيعبر الشاعر عن الرغبة في الوصال بتعبير يقبله المجتمع. (جلال العظيم، ١٩٨٣م: ٩٥)، يقول:

فلو لم تكن تهوى الفراق نحرّتها ولم تلتمس عمداً لها من يقودها

(الإصفهاني، لاتا: ٢٢)

الشرح: إنّ الشاعر يقول: هذه المطيئة كانت تهوى الفراق فلو لم تكن تهواه لكان نصيبها التّحرّ ثم إنّ قيادها لم يكن باختيارها.

وأنت ذاك وقلبي ذا الذي ملكت هواه نفسك إكراهاً وتخييراً

(الإصفهاني، لاتا: ٢٣)

الشرح: أنت ذلك المحبوب الذي ما وفا بعهدِه وقد بقي القلب معلقاً بذكرها من الجانبين، جانب الإكراه وجانب التّخيير.

ولم يكن باختيار لي فأترّكه ولا اضطرار أتاه القلب متهورا

(الإصفهاني، لاتا: ٢٥)

الشرح: وهذا التّغير في القلب تجاه تصرّفاتك لم يكن من تلقاء نفسى، ولم يكن باختيارى حتى أترّكه ولا عن إضطرار بل أصيب القلب بذلك فهى من دواعى القلب ونزعاته.

ومن أهم خصائص النيرفانا، التجرد من أغلال الحياة وقيود النفس والمراد به الآلام والشهوات النفسية كالطمع والكراهية والحسد والحقد والخوف وخاصة الحب، فإذا تجرّدت النفس عن الحب فإنّها تتخلّص من الإحساس بالألم الذى يسببه إرتباط النفس بالأجسام وتحدث حالة التشبّع الروحى بالإنصراف عن الدنيا المادية كلّها ومستعدة للوصول إلى نيرفانا. ومن سماته التجرد من فكرة الذات وهذا موافق لمعنى النبيل. (سانان، ١٩٧٠م: ٣٢٠)

لكن النيرفانية العذرية نحت منحى فنياً في تصويرها للجسد المحبوب بلغة غير شبقية كانت إرهاباً حقيقياً للصوفية العرفانية فيما بعد؛ وهو ذات طابع فى متسم بالجمولة العرفانية الصوفية التى اتصلت بالذات الإلهية ولذلك بين العفة فى الحب وبين الزهد

من سمات مشتركة وملامح متشابهة ونزوع إلى الأعلى والتحرّيم الجنسي. فالعذرية في تعبيرها عن العشق أعطت للحب بعداً روحياً كان إرهاصاً حقيقياً لدخول رمز المحبوب بمحمولة معرفية عرفانية دالاً على الحب الإلهي. (جودة، ١٩٨٣م: ١٣١)

كما يذكر ابن داود في تفسير الصوفي لحكمة العشق وتعليل حدوثه بين الخلائق، أن المتصوفين يرون في العشق قدراً يمتحن الله به من يشاء من عباده ويعوّض لهم فطه الذلة والإتقياد حتى يصل الناس من وراء ذلك معرفه حق الله سبحانه وإيثار رضاه على رضا العباد. (عبدالواحد، ١٩٧١م: ٧٢):

فحتّامَ لا انفكَّ شوقاً إلى الرّضا      أصدّق من صدقي لديه مُكذّب

(الإصفهاني، لاتا: ١٦)

الشرح: إلى متى أبقى ملازماً لحبِّك مُتَشَوِّقاً إلى تحقُّقِ رِضاكَ، فأنا فيما أنا فيه من صدق ادعاء، ولكن الأمر لم يكن ليصدق من جانب الحبيب بل يُكذِّبه.

العذرُ يلحقه التحريفُ والكذبُ      وليس في غير ما يُرضيك لي إربُ

(المصدر نفسه: ١٧)

الشرح: الاعتذارُ من التّفصيرِ في أمرِ الحبِّ قد يتبعه أمورٌ تؤدّي إلى التّحريفِ عن الصوابِ وكذا اللّجوءِ إلى الكذبِ، ولا توجد عندي حاجةٌ إلا رِضاكَ.

وتُرضى قلوبٌ قد تواتر سخطها      علىّ فعادتني بغيرِ ترات

(المصدر نفسه: ٢٠)

الشرح: وسترضى قلوبٌ - أي قلوبُ الأحبة - قد تراكمَ وتضاعفَ سخطها عليه فعادته بغيرِ وترٍ ودونِ أيِّ ذنبٍ.

## الف - الفناء / الموت<sup>١</sup>

حينما تسرّبت المذاهب الهندية إلى العالم الإسلامي كان إنفاقاً كبيراً بين فكرة الفناء بينهم فإنها متفقة في الأصل وهو الوصول إلى مرتبة الكمال وسعادة النفس وإختلفت في فروعها كما نشير. (الهاشمي، ١٣٤٦ق: ٢٤)

ومن الملاحظ أن النيرفانا إتخذت من الفناء هدفاً أسمى في الحياه البوذية والمتأمل

البوذي كان ينبغي الفناء دون الإتحاد بمدير هذا الكون. ومن هنا قسّم البوذية حالات الفناء في النيرفانا إلى قسمين: ١- فناء شبه التام لأن الجسم لم يزل حياً أما النفس فانية ولا تتعلّق بحياة الدنيا ٢- الفناء التام بعد النيل إلى النيرفانا ولا يبقى جسماً أو روحاً ولا يبقى وجود ذاتي للفاني ولا يبقى في نفسه ولا في تفكيره شيء لا إله ولا غيره؛ كما يعتقد أن لا تخلو الحياة من المعاناة التي يسببها الشقاء (كالولادة، الشيخوخة، المرض، مفارقة الصديق...) وسرّ الراحة هو قتل تلك الرغبات. (واسين، ١٩٨١م: ٢١٤)

ومن ثمّ الفناء لتحقيق النيرفانا في البوذية شأنه شأن الفناء في التصوف الإسلامي غاية يصبو إليها السالك البوذي بعد القيام بمجاهدة النفس بمجاهدة شاقة طويلة وهي حالة من التشبّع الروحي بالإنصراف عن الدنيا كلّها إذ وصل إليها الإنسان تتخلّص النفس في أثنائها من الشعور والإحساس ومن الرغبات والشهوات ومن كافة الصفات البشرية فتضمحلّ الكائنات في نظرة حتى يصبح لا يشاهد فيها شيئاً.

أما في الصوفية إنّ الفناء هو الغاية القصوى للرياضة النفسية وآخر مرحله من مراحل الطريق للسالك العذري في سيره إلى الله. فالصوفي الإسلامي كان يريد الفناء في الذات الإلهية وهي قمة الطريق، غاية التصوف وثمره مجاهدة النفس، ينالها في طريقه للبحث عن الحقيقة. (ماتيسوس، ٢٠١٣م: ١٢١)

بعبارة أخرى فناء المتصوف العذري غير ما يكون في بودا، إذ معناه فناؤه عن نفسه وصفاته الحيوانية الأرضية حباً في ذات الله بالالتزام بالتهذيب لا التعذيب ومتى تمّ له هذا الفناء أشرف به على طور لا يشهد معه في الوجود إلا الله حتى ولا نفسه التي بين جنبيه فلا يرى وجوداً إلا لواجب الوجود وحده وإما وجود سواه أيّما ما كان فهو وجود مجازي غير ذاتي لقبوله العدم والفناء؛ أما الوجود الحقيقي الذاتي فهو للذات العلية الأبدية الدائمة البقاء وحدها فيحصل بعين البصيرة والطهارة إلى مقام يسمّى مقام اللقاء أو الوصول وراء العقل المجرد والإتحاد به ويميل الحب إلى الفطرة الإلهية في الإنسان مهما وصل إلى هذا البحر الجيّاش الذي يجيش قلبه المترام من الحب العفيف وهذا هو السبب النفسي الأساسي والعامل الأصيل الذي يميل العذري نحو هذا الإتجاه ويؤدى إلى النفس الراضية المرضية المطمئنة بالإيمان الراضخة لأحكام الشرع والدين

والرقى الروحى إذ يصير قلبه مليئاً بالصدق والمروءة والطهارة والحنو إلى عباد الله  
والخلائق أجمعين فهذا الفناء يعقبه الإتحاد بالله، يقول:

جُعلتُ فداك إن صلحتُ فداءً      لنفسك نفسُ مثلى أو وِقاءِ  
وكيف يجوز أن تفديك نفسى      وليس محلُّ نفسينا سواءا

(الأصفهاني، ١٩٣٢م: ٧٢)

يشير الشاعر إلى نفس المحبوب التي تكون أعلى شأنًا من نفسه وليستا في مرتبة  
واحدة وهذا يدل على كثرة الإخلاص في طريق الحب لأن الشاعر يفدى نفسه له ثم  
يحتقرها ويرجح المحبوب على نفسه وهذا نهاية الفناء في الحب الإلهي لأن النفس أعزُّ  
شئ عند كل إنسان.

لا يكتمل الحديث عن الموقف النفسى عند العذريين إلا بتوضيح رؤيتهم للموت  
كما قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ (العنكبوت: ٥٧) وقد إرتبط الموت بالمحبوب  
في الشعر العذرى إرتباطاً وثيقاً وصورها الشعراء بوصفها سبباً للموت لكن الموت من هذه  
ناحية أخرى يمثّل عند العذريين إعتاقاً من الألم، يمثّل وجهة الخلاص الوحيدة من هذه  
الأحاسيس المدمرة والحياة العاطفية غير المستقرة (شورون، ٢٠٠٠: ٥)، يقول:

تجرّت عليه النابتاتُ فأصبحتُ      بكلِّ الردى غير الحمام تُبادره

(الإصفهاني، لاتا: ٤٨)

الشرح: كثرت وازدادت عليه نوائب الدهر واستحقرته لضعفه، وهجمت عليه بكل  
أنواع البلاء إلا الموت، أى لم يهلك حتى يرتاح ولكنه يُعذب بمكاره الدهر.  
فيا ويك لا تسرع إلى البين إنه هو الموت فاحذر غب ما أنت صانع

(المصدر نفسه: ٥٥)

الشرح: ويلك أيها الحبيب لا تعجل في الإبتعاد عني لأن الفراق هو الموت بعينه  
فاحذر عواقب ما تُقدم عليه.

## ب- الألم<sup>١</sup>

الحياة في تفكير البوذية ألم من شرور هذه الدنيا وطبيعة في الإنسان لا مندوحة

1. suffering

من القضاء والتشاؤم ناشئة من هذا الألم. فإذا أردنا القضاء عليه يلزم القضاء على الإنسانية نفسها ومصدره هو الشهوة التي حدثت من الإرتباط بين الحواس والأشياء الخارجية والألم كالنار التي تلتهب في الحطب، أطفئوها وتخلصوا منها، فيقول إعداموا الألم فتكتسبوا الخلاص وعلى هذا ليس هناك أسمى من سعادة الطمأنينة وذلك عن طريق الوصول إلى النيرفانا. (نومسوك، ١٩٩٩م: ٢٥٩) وليس الألم مقصوراً على الألم العضوى من أعضاء الجسد بل يشمل جميع تصرفات الإنسان المزيّنة بالرغبات والإعتداد بالذات وهو على قسمين: ١-الألم الجسدى (كالولادة، الشيوخوخة، المرض والموت) ٢-الألم النفسى (الحزن والكراهية والطمع وماشابه ذلك). (موتوكان، ١٩٦١م: ١٩١)

وأما تخلل الألم نسيج التجربة الشعورية عند العذريين، أصبح الحبّ عندهم مرادفاً للألم وهو الأثر النفسى الحاد فى نفوس فشلت فى أن تحب وفشلت فى أن تنسى ولم يبق لها إلا أن تظل فى عذاب مقيم، عذاب ليس من نهاية له. وقد تجلّى القلق فى أمنيات الشعراء والعلاقة بين القلق والأمانى علاقة قوية، فالأمنية رغبة غير محققة، ويرتبط بمحاولة تحقيقها إحساس القلق أو أن بواعثها داخل النفس بواعث قلق وألم على وضع قائم يراد تغييره أو إصلاحه وقد فشل العذريون فى حبهم وأحسّوا فى أوقات أنّ الإرتباط الطبيعى بمحبوباتهم لا سبيل إليه ولذلك فقد جنحوا إلى عالم الأمانى يحققون فيه ما قد عجزوا عن تحقيقه فى الواقع. (القط، ١٤٠٧: ١٢٠) يقول الشاعر:

فأنت كمشتري أثرٍ بعينٍ      فقلبك بالصّباية مُستطارٌ

(الإصفهاني، لاتا: ٤٧)

الشرح: أيها الشاعر! أنت كمن يُبدّل الأثر بالعيان (متأثرٌ بصور الخيال من الحبيب) وقلبك مُتولّع بالمحبّة يُحقّق بالمودّة والغرام.

أرى كلّ مُرتابٍ يخاف خياله      كأنّ عيون العالمين تُراقبه

(المصدر نفسه: ١٦)

الشرح: يشير الشاعر إلى الحالات النفسية عند الإنسان وتُسمى إحدى هذه الحالات فى علم النفس بالوسواس أو مرض التردّد بقوله: أعتقد بأنّ كلّ شخصٍ أُصيب

بمرض التردد وكثرة الشك يخاف مما يخطر بباله ويخشى حتى من ظله وخياله، ويظن أن كل الناس يراقبون أقواله وأعماله.

وهكذا كان للقلق والألم مظاهر شتى في الشعر العذري كان الليل وكثرة التساؤلات والتعبير عن الغربة والحنين إلى أماكن حبههم وكذلك أمنيات الشعراء ورؤية الغراب وظاهرة الإلتفات، كل هذه العناصر أبرزت إنفعاله عند العذريين، كما نرى عند الشاعر:

أتذكرُ اليومَ ما لاقيتُ من كمدٍ      أم قد كفاكَ رسولِي بالَّذي ذكرا

(المصدر نفسه: ٤٩)

الشرح: هل تذكر اليوم الذي أصبت فيه بمرض الهوى وما لاقيته من الحزن وألم الشوق أو قد اكتفيت بالخبر الذي وصل إليك من حالي ولم تتفقذ أحوالي.

فلست أبالى بالردى بعد فقده      وهل يجزع المذبوح من ألم السلخ

(المصدر نفسه: ٤٢)

الشرح: إن فقد محبوب الشاعر أشد عليه من الموت والهلاك، فإذا كان بعد المحبوب وهجره أشد عليه من الموت والهلاك، فهل يبالي بالموت بعد فقده، وهل يتألم المذبوح من ألم سلخه؟

ووجد الشاعر في قلبه بقايا من الحزن لألم الفراق ويبين لنا ابن داود أنه يتعجب من إجتماع الهوى واليأس في صدره دون أن يدرك أن ما في قلبه من ألم الفراق ليس هوى في ذاته ولكنه بقايا الهوى الزائل من وجود اليأس. (عبدالواحد، ١٩٧١م: ١٧١)

وليس غريباً من تناءت دياره      ولكن من يجفى فذاك غريب

(الإصفهاني، لاتا: ٣٤)

الشرح: في رأى الشاعر ليس الغريب من يبتعد عن موطنه وأهله، بل الغريب هو الذى يظلمه المحبوب ولا يبالي به، ولا يهتم بما يحملة من حب، فهو الجفاء بعينه وهى الغربة بعينها.

فقال رقيقى ما للونك حائلاً      وعينيك ما يعدو جفونك جودها

(المصدر نفسه: ٤٣)

الشرح: إن لون الشاعر قد تغير من شدة الحزن والألم على فراق المحبوب وحينذاك

سأله صاحبه ما هذا الإصفرار الطارئ على وجنتيك وخذيك وما لعينيك لا تكفان عن ذرفهما هذه الدموع الساخنة.

بعد أن يبين الشاعر أن قطرات دموعه قد تناثرت على خديه بعد أن انقطع سلوكها يقول: إن لونه قد تغير من شدة الحزن والألم على فراق المحبوب وحينذاك سأله صاحبه ما هذا الإصفرار الطارئ على وجنتيك وخذيك وما لعينيك لا تكفان عن ذرفهما هذه الدموع الساخنة:

ما يعلم الله أني مُذْ هويتكم أطيع إظهاراً ما ألقاه باللفظ

(المصدر نفسه: ٥٤)

الشرح: الله يعلم أني مُذْ أن هويتكم أستطيع أن أبوح بلساني ما ألقاه من شدة الألم.

### ج) الصراع النفسي<sup>١</sup>

إن النيرفانا هي أعلى درجات الصفاء الروحاني التي يبلغها البوذي بعد مصارعاته وجهوده النفسية عن طريق تجريد النفس وقمع جميع الشهوات والرغبات وممارسة الضغط على الذاتية والأنانية والتركيز الباطني فإذا وصل البوذي إلى هذه الدرجة زالت من نفسه رغباته وإنعدمت مطامعه وأهدافه على زعمهم فلا يحس بأية مشاعر تدفعه لفعل خير أو لإرتكاب الشر وجذوره الثلاثة وهي الشهوانية، الحقد والوهم ويمكن التغلب والقضاء عليها ثم الوصول إلى النيرفانا. (نومسوك، ١٩٩٩م: ٢٥٣)

هذا وظاهرة الصراع النفسي إحتلت جانباً كبيراً من الشعر العذري بل إنها كانت من أكثر الظواهر إلحاحاً في هذا الشعر، فلا تكاد تمر قصيدة أو مقطوعة دون أن تبدو فيها إشارة إلى هذا الصراع أو أن يكون الصراع النفسي هو لحمة القصيدة وسداها؛ وله أثر مباشر لسيطرة الإنفعالات والعواطف على القصيدة العذرية. الإنفعالات -إذن- كانت عنصراً بارزاً في التجربة الشعرية للعذريين وكانت مجالاً خصباً للتوتر النفسي الذي أخذ صورة صراع، والذي إستطاع أن يتغلغل في معظم الشعر العذري، فأثر فيه سلباً أو إيجاباً. (المليجي، لاتا: ١٥٧)

1.. Psychological conflict

فإن مشكلة الصراع النفسى من المشاكل المهمة باعتبار نتيجتها حالة من الكبت للدافع الذى لم يتم إشباعه وعدم حلها نتيجة حالة من التوتر والقلق وعدم الإرتياح؛ وقد إنتهى فى بعض الأحيان إلى المرض النفسى أو العصبى كما لا يحفل بنوال أو وصال وهذا يدل على القناعة الشديدة. (عبدالواحد، ١٩٧١م: ١٠٦)

ومن الملاحظ أن الفراق من الآفات الذى تعرّض فى الحب فتعقد مأساته وتسير به فى طريق الأسى وهو إضطرابى لا ذنب فيه ولا ملل وعند ابن داود الترويع بالفراق هو السهم الذى لا يعدل عن مقاتل العشاق ومن رمى به من المحبوبين أصاب ومن دعى به من المحبين أجاب (الإصفهاني، ١٩٣٢م: ١٥٥) والمحبون يشفقون دائماً من الفراق ويحذرون وقوعه وذلك ما يملأ قلوبهم قلقاً ويذهب عنها الطمأنينة. (المصدر نفسه: ١٣٤)، يقول الشاعر:

أم كيف يبىراً قلبى من صبايته      بطبكم ودوائى عندكم دأى

(الإصفهاني، لاتا: ٣٢)

الشرح: كيف يتخلص قلبى ويبرأ مما أصابه من الحب الذى ما برح يلازمه بواسطة طبابتكم، فى حين أن الداء هو الدواء [لا جدوى من المعالجة فى حين أن دأى دوائى ودوائى دأى].

فأغضى على جمر الغضا خشية القلى      ولولا الهوى ما ضاق عنى مهرب

(المصدر نفسه: ٣٣)

الشرح: أتحمل المصائب فى طريق وصالك وأصبر على الأذى خشية الفراق وكأنى أعيش على جمر، ولولا حبك ووصالك لآثرت الفرار ولم يكن هذا الأمر على صعب. هو يريد نسيان الحبيب لكنها ليست الإرادة القوية التى تترجم الرغبة إلى فعل جاد وإنما تنحصر فى حدود الرغبة التى تصطدم بعدم قدرته على النسيان فتقف عاجزة وترتد على مجال الأمنيات التى لا تتحقق. كما نرى صراع بين حبه للمحبوب ورغبته الصادقة:

أبكى على من لست أرجو ارتجاعه      وأبكى على أن لا يكون رجاء

(المصدر نفسه: ٣١)

الشرح: وأبكى أيضاً لأننى لم أكن على يقين أن الحبيب سيعود وليس هناك أمل أو رجاء لتحقيق هذا الأمر.

الشاعر في مجال الصراع النفسى يقوم بوقفه مع النفس وحساب لها وهو يحاول إقناع نفسه بهذا وكيفية الخروج من هذه الدائرة القاتلة ومن المستحيل إرضائها كلها، يتصارع في نفس الشاعر دافعاً الخوف والحب: الخوف من الله والحب إليه، ويعبر عنه الرغبة في لقاء محبوبته، الخوف من الله يتطلب منه التقوى والخشوع وللتقوى حدودها المرسومة في الدين وأسطها، والحب يتطلب منه أن يصل إلى محبوبته وبصاحبها فلا بد من الصراع وخاصة إذا كانت الدوافع متكافئة، لا سبيل إلى إرضائها معاً، يقول:

إذا لم أنافس في هواك ولم أعزْ عليك فقيمَن ليت شعري أنافس

(المصدر نفسه: ٥٣)

الشرح: إن لم أبدلُ جُهدى ولا أرغبُ نفسى في محبتك، يا ترى! فإلى من أبدلُ هذا الجهدَ وهذه المنافسة (أى لا أبدلها لغيرك).

ومن الملاحظ أن دائرة الصراع النفسى كانت النفس بكل تعقيداتها ولعلنا وجدنا أيضاً أن بعض أسباب الصراع النفسى كانت تنشأ في خارج النفس وآثارها داخل النفس ووجدنا أيضاً أن نتيجة الصراع النفسى في الشعر لم تكن معلقة وإنما هي محسومة في أغلب الأحيان لصالح دافع الحب وهذا يعنى دوام الصراع في صور أخرى ولعل من الأشياء اللافتة للنظر هنا توارد بعض التعبيرات عند العذريين على صور متشابهة، فلا نستطيع الإدعاء أن الصراع كان بين الروح والجسد أو بين الأمل واليأس. (الخليف، ١٩٦١م: ٤٨) فكان للصراع النفسى آثار سلبية وإيجابية منها اليأس بقدر ما فيها من الإحباط والقلق والرجاء بالوصل بعد الصرم، يقول:

إذا دعا اليأسُ قلبى عنك قال له حسنُ الرجاءِ فلم يصدر ولم يرد

(الإصفيهانى، لاتا: ٤٥)

الشرح: كلما أردتُ اليأسَ منك وكلمتُ أَرادَ أن ييأسَ منك القلبُ ويقطع العلاقة أجابه حسنُ الرجاءِ والأملُ المطلوبُ وخلقَ عنده الأملُ ولكنَّ هذا الأملُ لم يلقَ إستجابةً منك، ولم يردَّ علىَّ بسرور وراحة.

وكفَّ رجائى فأطمأنتُ محافتى فلم يبقَ لى إلا التأسفُ والفكر

(المصدر نفسه: ٤٦)

الشرح: عند ذلك قلَّ رجائي وخابَ أملِي وحلَّت مكانه المخافةُ فما بقيَ لدىَّ إلاَّ  
التأسفُ عمَّا فاتَ والفكرُ في ما مضى.

ونجد كثيراً إشارات لفكرة القضاء والقدر بأبعادهما الإسلامية وسلطانه على الشعراء  
في الشعر العذرى وأن القضاء والقدر أحياناً يكونان مرادفين لفكرة التسلط والقوة.  
(القط، ١٤٠٧ق: ١١٩) يقول الشاعر:

إذا بلغَ المكروهُ بي غايةَ المدى      فأهونُ ما تجرى إليه المقاديرُ

(الإصفهاني، لاتا: ٤٧)

الشرح: حتَّى وإنْ بلغتِ المصائبُ غايتها وذروتها، فإنِّي لا أبالي بها لأنني مُستسلمٌ  
أمامَ ما يحدث لي من قضاءٍ وقدرٍ.

بما حبلتُ فلتأتني من بلائها      فليسَ لما يقضى به اللهُ حابسٌ

(المصدر نفسه: ٥٣)

الشرح: والليالي والحوادثُ هي حُبلى بالمكاره فتُصيبني، لأنَّ كلَّ ما قدَّر الرَّحمنُ  
سيحدث ولا مانعَ لإرادةِ الله تعالى.

الحب عند الشاعر العذرى نوع من المعاناة النفسية الحادة وحالة دائمة من الصراع  
بأشكاله المعقدة، هو رغبة في الألم وإستعداد له ولومة النفس والحب بالإبتلاء دون  
إختيار النفس والمحبة في الشعر العذرى ذات سطوة وقدرة وهي قادرة على أن تفعل  
وأن تؤثر:

أأيامُ هذا الدهرِ كمَ تعنِّفينِ بي      كأن لم ترى قبلي مُعنى ولا بعدى

(المصدر نفسه: ٤٤)

الشرح: يا أيها الدهر! لماذا تعنِّفُ بي وتُشدِّد عليَّ كأنك لم ترَ ما أصابني من عناءٍ وشدةٍ  
وكأنك لم تجدَ أحداً قبلي ولا بعدى ترميه بسهامِ العذاب، وقد وُجِّهتْ سهامُك نحوى فقط.  
وأنت أخ لي قادرٌ أن تُزيلَ ما      أقاسيه لا تدرى بما بي أو تدرى

(المصدر نفسه: ٥١)

الشرح: وأنت تستطيعُ أن تُزيلَ ما أعانيه من همومٍ وآلامٍ، ولعلك تدرى بما أقاسيه  
وقد لا تدرى.

ما يعلم الله أني مُذْهُوئِكُمْ أطيع إظهاراً ما ألقاه باللفظ

(المصدر نفسه: ٥٤)

الشرح: الله يعلم أني مُذْهُوئِكُمْ أستطيع أن أروح بلساني ما ألقاه من شدة ألم. كما أنشد الشاعر العذري في شكوى الزمان وتقلب صروفه وغدر الأيام.  
سأشكر ذنب الدهر فيك ولم أكن على غير الأيام أشكر مُذنباً

(المصدر نفسه: ٣٦)

الشرح: إنَّ الدهرَ خانني في هذا الحبِّ وهو ذنبٌ، وأنا سأقدمُ شكرى للدهرِ والمذنبِ الحقيقي، ولم أكن في يومٍ من الأيام وعند تغير الزمان وما يكتنفه من حوادثٍ غير مترقبة أن أشكرَ وأتُشكرَ من مُذنبٍ مثل الدهرِ.  
أيامُ هذا الدهرِ كمْ تعنِّفينِ بي كأن لم ترى قبلي مُعنى ولا بعدى

(المصدر نفسه: ٣٩)

الشرح: يا أيها الدهر! لماذا تعنِّفُ بي وتُشدِّدُ عليَّ كأنك لم ترَ ما أصابني من عناءٍ وشدةٍ وكأنك لم تجدَ أحداً قبلي ولا بعدى ترميه بسهامِ العذاب، وقد وُجِّهتْ سهامُك نحوى فقط.

إذن يرى ابن داود من طبيعة العشق تحمل آلامه والصبر على أوصابه وأن لحاق الحب بمحبوبه المفارق حتم لازم لا يعتذر عنه ولا تقف دونه عقبة فما يجوز عنده التعلل بالأخطار أو الحذر من المصائب. فهو يوجب على العاشق أن يبذل نفسه ولا يبالي بما يتهدده في سبيل اللحاق بمن يهواه؛ فكل ما يصور تحمل المحبين للعظام وإضطلاعهم بالمشقات ورضاهم بالأهوال يلقي عند ابن داود حظوه وقبولاً. (عبدالواحد، ١٩٧١م:

(١٠٦)

## د- تعطيل الإرادة<sup>١</sup>

نرى في تعاليم بوذا دعوة إلى ترك الآمال والتعامل بالحسنى والتصدق والتفكير السليم والتحذير من متاع الدنيا كالمال والشهوة والإنتصار على نفسه وشهواته بتجريد

1. Able will

النفس عن الرغبات وكبت نوازعها وتعطيل الإرادة للنيل إلى النيرفانا. (الهاشمي، ١٣٤٦ق: ١٩)

أما السالك العذري بوصوله إلى مقام الفناء الذي وصفناه يتحقق له قول النبي (ص): «موتوا قبل أن تموتوا» أي موتوا عن رؤيه وجودكم وإختياركم وإعتمادكم على حولكم؛ والوجود والإختيار في الحقيقة وقف على الله الواحد وإنكم أسباب وهو مسبب الأسباب. (ماتيسوس، ٢٠١٣م: ١٢١) وهي حالة -كما وصفه ابن الفارض- تتجرد فيها النفس عن رغباتها، وميوها، وبواعثها، بحيث تتعطل إرادتها وتموت، فإذا ماتت الإرادة أصبحت النفس طوع الإرادة الإلهية. (نومسوك، ١٩٩٩م: ٢٧٣)

إذن الظاهرة العذرية في التراث العربي تحوم حولها ظلال اشكالية الإبداع وعلاقته بالإرادة والعذريون قد جعلوا من مقاييس صدق العاطفة الخضوع في الحب والإستسلام لأمره، فهم أسرى في يد من يهون لا يملكون تصرفاً ولا يحسنون صنعاً. (عبدالواحد، ١٩٧١م: ٩١)

ومن الملاحظ أن تعطيل الإرادة أصيل في الهوى كله ولاسيما الذي نسميه بالعشق العذري لأن المرء يرتبط فيه بإرادة شخص آخر فهو مقيدٌ بهذا الإرتباط الذي لا تتفق فيه الإرادتان في جميع الأحيان وينتهي به الأمر إلى البقاء على حاله عجزاً عن تغييره لا رغبة فيه فهو لا يتعلق بمعشوقته لأنه راض عن هذه العلاقة يتلذذها ويتذوق النعمة فيها ولكنه يتعلق به لأنه عن فراقه مقيد بضروب من العادات والوساوس لا حيلة له فيها ولا قدرة له عليها. (العقاد، ١٩٨٢م: ٢٦٦)

إذن موضوع الإرادة (=الإختيار والعزم) من الموضوعات الفلسفية والسيكولوجية إذ تخضع بعضها للعقل وبعضها تسلط العقل، كما عبّر الشاعر عن شدة ما تلقى من الوجد متمنية الوصول إلى من تحب:

أضنُّ بها عمَّن يرى الملكَ دونها      وأبذلها طوعاً لمن لا يُريدها

(الإصفهاني، لاتا: ٤٣)

الشرح: يقول الشاعر إنه يضنُّ بنفسه على من يُريدها طوعاً إرادته ويُلحُّ في ذلك ولكنه يبذلها زهيدة رخيصةً لمن لا يرغب فيها ولا يُريدها.

إذا المرء لم يُقدّر له ما يُريده أراد الذي يُقضى له شاء أم أبى

(الإصفياني، لاتا: ٣٦)

الشرح: إذا المرء لم يتهيأ له ما يُريده وما يتمناه، عندئذ سوف يكون خاضعاً لإرادة خارجة عن نطاقه، فيستسلم أمام القضاء والقدر سواء أَرْضِيَ بذلك أو لم يرض. وقوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ (الإسراء: ٢٣)

لا تدلُّ الإرادة على الرغبة الواعية فقط لكنها تشمل على الغريزة اللاواعية وعلى العادات والإندفاعيات والميول من أى نوع ومن كل نوع. ومن ذهب إلى القول بتعطيل الإرادة في العشق العذري فمذهبه يحمل كثيراً من المثالب والمغالطات النابعة من سوء فهم لإشكالية الإرادة في بعدها الفلسفي والنفسي إذ الإرادة ليست هي الوعي ولكن في جوهرها هي اللاوعي. فالعذرية إذن لا تفتقد إلى الإرادة بل هي تجسيد للإرادة التي حاولت أن تحققها الظروف السياسية والاجتماعية التي سادت المجتمع الإسلامي في آنذاك وهي إرادة اللاوعي الذي صدع في وجه الواقع بعد أن كبل الوعي وحُظر كما هي إرادة التغلب على القهر والسلب الذي مورس على الفرد داخل المجتمع وعلى جميع الأصعدة السياسية والاجتماعية والفطرية. (العقاد، ١٩٨٢م: ١٦)

فالعذرية شذوذ عن الأصل المعرفي لماهية الحب وتعطيل لإرادة الحياة وتلك نظرة للحب في جانبه المادي لا في جانبه الروحي العرفاني وإن تصادمت مع إرادة الحياة وعطلت من دورها الحياتي إلا أنها ارتقت بالنفس الإنسانية إلى ملامسة جوهرها الروحي فسمت بالعشق من الطابع المادي إلى الطابع العرفاني. فحاولت العذرية أن ترتقى بالإرادة من مفهومها المادي إلى مفهومها العرفاني الذي عطل الإرادة في فعلها الملموس. (نفس المصدر، ٢٦٧) ومنعته مروءته وطابعه المعنوي حضور مجالس اللهو والغناء والخمرة، يقول الشاعر:

وجدتُ الذي يسلى سوى يشوقني إلى قربكم حتّى أملّ مكاني

(الإصفياني، ١٩٣٢م: ١٤٦)

الشرح: وجدت الذي يسلى العاشقين بشرب الخمر أو سماع الغانيات، بينما يشوقني إلى قربكم حتّى ضاق عليّ مكاني فرحلت.

لَكِنَّهُ مِنْ أُمُورِ اللَّهِ مَمْتَنَعٌ فِي الْوَصْفِ قَدْرُهُ الرَّحْمَانُ تَقْدِيرًا

(الإصفهاني، لاتا: ٤٩)

الشرح: ينقلُ القلبُ بقدرةِ الله وإرادته، حيثُ قيل إنَّ قلبَ المرءِ بين إصبعينِ من أصابعِ الرحمنِ يُقَلَّبُ كيف يشاءُ وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (البقرة: ٢٠)

#### هـ- المازوشية<sup>١</sup>

في رأى البوذية إنَّ الدنيا كلّها ألمٌ وشرورٌ ومعرفة الحقيقة تحتاج إلى ضبط النفس وتعذيبها للوصول إلى النيرفانا أو الصفاء الروحي وهو أصعب من فتح الممالك ومنشأ هذه المعاناة والشقاء يرجع إلى الرغبات التي تمتلئ بها نفوسنا وأنا نرغب دائماً في شيء ما مثل: الزواج، القوة، الجمال أو الثراء...؛ فتعاليمه كلّها سلبية وإنما كانت لعقيدة قائمة في النفس هو أنّ العمل الإيجابي يزيد التكالب على حطام الدنيا وهذا يزيد الشقاء. (الهاشمي، ١٣٤٦ق: ٢١)

إذن المازوشية أو التعذيب الذات من المبادئ الأساسية في رأى البوذية والصوفية وهدفها الوصول إلى السعادة؛ كما نرى أيضاً عند الشاعر العذري كان يعتمد التشبيب بالمحبوب تعمداً كانت وراءه دوافع اللاوعي التي تضر أن العذري كان من العصبيين الذين يهونون تعذيب الذات أي مازوشى الطبع ولا تنتهي علاقته بالمحبوب إلى الرباط الشرعى الزواج ويحسن المنع والإغراء والإطماع بالإقصاء وأسباب اللّجاجة في الهوى عنده كثير. (العقاد، ١٩٨٢م: ٢٦٦) كما يقول الدكتور حمودى: «وجد الإصفهاني في كتابه مكاناً فسيحاً يمكن أن يبسط فيه من مرارة النفس ما يريحها من الأعباء.» (الإصفهاني، لاتا: ١٥) فبدا غزله إمتلك صوراً جميلة وألفاظاً عذبة متسمة بالإصالة والعمق كما أنشد حين صراحته في إعلان العشق:

أَمِثَلُ الَّذِي أَلْقَى يُقَاوِمُهُ صَبْرٌ فَاصْبِرْ أَمْ مِثْلِي يُنْهَهُهُ الزَّجْرُ

(المصدر نفسه: ٤٦)

الشرح: إنَّ ما ألقاه من آلامٍ لا يُطاق إلا بالصبرِ، فالصبرُ هو المستعانُ في هذه الأزمة؛

فَعِنْدُكَ سَوْفَ أَتَحْمَلُ كُلَّ هَذِهِ الْمَتَاعِبِ أَمْ أَنْتَى فِي حَالَةٍ يُرْزَحُحُهُ الزَّجْرُ وَعَدَمُ الْإِلْتِفَاتِ.  
مَنْ خَانَ هَانَ وَقَلْبِي رَائِدٌ أَبَدًا      مِيلًا إِلَيْكَ عَلَى هِجْرِي وَإِقْصَائِي

(المصدر نفسه: ٣٢)

الشرح: مَنْ خَانَ عَهْدَهُ هَانَ عَلَيْهِ الْأَمْرُ إِذْ لَا يُبَالَى بِمَا سَيَحْدُثُ فِي حِينٍ أَنْ قَلْبِي مَا  
فَتَى يَطْلُبُ الْوَصَالَ وَمُلَازِمًا لِحُبِّهِ مَعَ مَا أَنْتَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِصْرَارِ عَلَى الْهَجْرِ وَالْإِبْتِعَادِ.  
أَعِدْ نَظْرًا فِيمَا ادَّعَيْتَ وَلَا تَحِدْ      لَتَعْلَمَ مَنْ مَنَا الشَّقَى الْمُعَذَّبُ

(المصدر نفسه: ٣٣)

الشرح: أَعِدْ النَّظْرَ فِيمَا تَدَّعَيْتَهُ وَادَّعَيْتَهُ مِنْ حُبِّ وَإِخْلَاصٍ، وَلَا تَتَجَاوَزِ الْحَقَّ  
وَالصَّدْقَ لِتُصْبِحَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنَ الْأَمْرِ، مَنْ مَنَا هُوَ الْمُعَذَّبُ فِي هَذَا الْحُبِّ وَمَنْ مَنَا يُعَانِي  
الشَّقَاءَ وَالشَّدَّةَ؟!

فتتاج الأديب صورة لنفسه وتاريخ لحياته الباطنية، فالحب العذري يعبر عن حالة  
مرضية متغلغلة في نفس العاشق وتبين في ولعه بسقمه وهزاله وحرمانه وتلذذه بألمه  
وإستمتاعه بجرقة الشوق الذي لا أمل في إشباعه ولا تخلو ظاهرة الحب العذري من  
خصائصه "السادو مازوشية" (سليمان، ١٩٦١م: ١٠٢)، يقول الشاعر:

متى يا شفاء السقم سُقْمِي مُنْقَضِي      إذا ما دواءً كان للداءِ مُرْضِي  
فهيها ما هذا على ذاك مُقْلَعٌ      أجل لا ولكن مدة العمر تنقضي

(الإصفهاني، لاتا: ٥٤)

الشرح: يَا مَنْ عِنْدَهُ شِفَاءٌ لِسُقْمِي، قُلْ لِي مَتَى يَنْتَهِي هَذَا السُّقْمُ، عِنْدَمَا يَكُونُ دَوَائِي  
هُوَ بَذَاتِهِ دَائِي (وهو المحبوب). هَذَا أَمْرٌ بَعِيدٌ أَنْ يَزُولَ سُقْمِي بِالدَّوَاءِ، نَعَمْ! دَوَاءُ السُّقْمِ  
يُجَلُّ بِإِنْقِضَاءِ الْعُمُرِ (ينقضي العمر بالسقم والألم).

ومن الملاحظ أن الشاعر العذري يميل ميلاً شديداً إلى تعذيب النفس والحبيب لمجرد  
الإستمتاع والتلذذ بالألم والعذاب بأنهما جزءاً من عنف التجربة الغرامية العذرية:  
لأبْدُ لِي مِنْكَ فَاصِّعَ مَا بَدَا لَكَ بِي      فَقَدْ قَدَّرْتَ عَلَيَّ قَتْلِي وَإِحْيَائِي

(المصدر نفسه: ٣٢)

الشرح: يَا حَبِيبِي! إِنِّي عَلَى اعْتِقَادٍ أَنَّ الْحَبَّ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ قَائِمًا بَيْنَنَا، فَافْعَلْ مَا

أحبت من تعذبي وهجرى فإن قتلى وإحيائي بيدك.  
دعاني الشوق والرُكبانُ قد هجدوا والشَّمسُ في آخرِ الجوزاءِ تَتَفِد

(المصدر نفسه: ٤٢)

الشرح: لقد هاجَ بي الشوقُ إلى المحبوبِ فلم أذُق لذةَ الكرى في حين أن الرُكبانَ قد إستولى عليهم التَّوَمُ من شدةِ التَّعبِ وطولِ المسيرِ، فقد أشرقَ عليهم الصُّبْحُ وبزغتْ عليهم الشَّمسُ ولكنهم لم يستفيقوا من نومهم بعدُ.

### النتيجة

ومن خلال دراستنا نستطيع أن نخلص أهم ما حصلناه فيما يلي:  
العلاقات الثقافية في العصر العباسي يؤدّي إلى اتصال الحضارات والثقافات المختلفة ومنها الثقافة الإسلامية والثقافة الهندية، فكان بعض مواضع التشابه والاختلاف بين البوذية والاتجاه الصوفي العذرى ومن أهمها "النيرفانا".

نستنتج من القراءة السيكولوجية والنقدية النفسية الحديثة للأدب العباسي أنه كان للحب العفيف وعلى رأسها النيرفانا دوراً هاماً عند العذريين فهو لا يصدر إلا عن نفس طاهرة عفيفة تحن إلى السمو الروحي والطهر النفسى والجمال المطلق لكن البوذية لا ترى الحب إلا شبقاً وشقاء وهو نابع من الطبيعة المادية والجسدية وتأمّر بالتخلي عن كل روابط الإنسانية وتعود موقف شاعرنا من الأحداث وظروفها النفسية إلى الإزدواجية الذاتية تتجلى من خلالها مواقف العذرية ونلاحظ أنّ المفردات التي تنتمي إلى معجم العاطفة الصادقة متوفرة في شعر شاعرنا بكثرة ومن أكثر الكلمات النفسانية مطبوعة بطابع الحب ومشتقاته وتميّز بالصدق في نقل وتصوير انفعالاته العاطفية ودلّ على معرفتها بصور ومعانى الحب وأحواله.

الإيمان بالإله والوصول إلى الكمال إتجاه فطرى لا يخلو عنه كل إنسان وإهمال هذا الإتجاه يحدث اضطراباً كبيراً فتدعو إليه الديانات خاصة الإسلام، الدين الذى ظلّت أصوله ومصادره ثابتة موقّعة لم يتطرق إليها تحريف أو تغيير وهو دين الفطرة قد عرف طبيعة الإنسان حق معرفتها لأنه كلمة الله ولا يقرب بتجريد النفس عن رغباتها. وأشار

الإسلام<sup>١</sup> إلى الدوافع الفطرية في نفس الإنسان من الرغبات والشهوات ثم لم يحرمها تحريماً مطلقاً بل يدعو إلى تنظيمها وتهذيبها في إطار الضوابط التي رسمها الله لحماية الطبيعة البشرية من الفساد والتوازن بين الروح والجسد بهذه الإرادة الرفيعة الفلسفة الإسلامية تفرق بين ما هو جسدي وما هو معنوي أو روحي ولذلك فهي تمنع الإستفراغ اللببدي (الجنسية) عبر قنواته الشرعية (الزواج) وفي جانب آخر إن البوذية تحرم الآمال والرغبات وتأمّر بعدم التلذذ والانصراف عن الرغبات (الروحي أو الجسدي) بعد القيام بمجاهدة النفس مجاهدة شاقة طويلة للتشبع الروحي والوصول إلى النيرفانا (الفناء والإتحاد).

٤. من خلال الرؤية النقدية لأشعار محمد بن داود الإصفهاني نستنتج أنه كان من شعراء الغزل العذري في العصر العباسي الثاني الذي تأثر بـ«النيرفانا» (من أهم مظاهر النفسى للحب العفيف) وجاء بكل عناصره منها الفناء، الألم، المازوشية، تعطيل الإرادة، الصراع النفسى في ديوانه.

## المصادر والمراجع

### القرآن الكريم.

أذرشب، محمدعلي. (١٣٨٢ش). تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي. طهران: سمت. الأندلسي، ابن الحزم. (١٩٣٠م). طوق الحمامة. دمشق: مكتبة عرفة. الإصفهاني، أبوبكر محمد بن داود. (١٩٣٢م). الزهرة. اعتنى بنشره الدكتور لويس نيكول. بيروت: مطبعة الالباء اليسوعيين. الإصفهاني، أبوبكر محمد بن داود. (لاتا). أوراق من ديوان، نوري حمودي. بغداد: وزارة الأعلام العراقية.

جلال العظيم، صادق. (١٩٨٣م). في الحب والحب العذري. المغرب: دارالعيون. جودة نصر، عاطف. (١٩٨٣م). الرمز الشعري عند الصوفية. لبنان: دارالأندلس. حاجي خليفة، مصطفى بن عبدالله. (١٩٤٦م). كشف الظنون. أنقرة: لانا. الخطيب البغدادي، المحافظ أبي بكر أحمد بن علي. (١٩٣٢م). تاريخ بغداد. القاهرة: دارالفكر. خليف، يوسف. (١٩٦١م). الحب المثالي عند العرب. مصر: مكتبة اسكندرية دار المعارف. سانج جانترا، راغام. (١٩٧٨م). أصول البوذية. بانكوك: مكتبة بانخار.

١. (آل عمران: ١٤)؛ (النساء: ٥٤ و ١٢٩)؛ (الحديد: ٢٣) ...

- سليمان، موسى. (١٩٦١م). الحب العذرى. لبنان: دارمكتبة الحياة.
- شكرى، عزيز الماضى. (١٩٨٤م). محاضرات في نظرية الأدب. الجزائر: دارالبعث.
- شورون، جاك. (٢٠٠٠م). الموت في الفكر الغربى. كامل يوسف حسين. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- الصفدى، خليل بن أيبك. (١٩٤٩م). الوافى بالوفيات. باعثناء س. ديدرينغ، إستانبول: مطبعة وزارة المعارف.
- عبدالواحد، مصطفى. (١٩٧١م). دراسة الحب في الأدب العربى. مصر: دارالمعارف.
- العقاد، عباس. (١٩٨٢م). المجموعة الكاملة. لبنان: دارالكتاب اللبنانى.
- القط، عبد القادر. (١٤٠٧ق). فى الشعر الإسلامى والأموى. بيروت: دار النهضة العربية.
- المليجى، حلمى. (لاتا). علم النفس المعاصر. بيروت: دار النهضة العربية.
- ماتىوس، أحمد. (٢٠١٣م). الوسائل العملية لتحقيق الفناء فى الإسلام والبوذية. Global Journal  
Al Thaqafah, Kolej University, Volume3, Malaysia
- موتوكان، بين. (١٩٦١م). مجموعة المصطلحات البوذية. بانكوك: مكتبة كلانج فيديا.
- سانان، نوكل. (١٩٧٠م)، الفلسفة الهندية، بانكوك: الجامعة البوذية.
- نومسوك، عبدالله مصطفى. (١٩٩٩م)، البوذية تاريخها وعقائدها وعلاقة الصوفية بها. الرياض: مكتبة أضواء السلف.
- واسين، أنتاسارا. (١٩٨١م). مبادئ الهامة فى البوذية، بانكوك: مكتبة باتاخار.
- الهاشمى، محمد يحيى. (١٣٤٦ش). «الألم بين بوذا وأبى العلاء». مجلة العرفان. العدد ٥٥٩.
- اليوسف، يوسف. (١٩٨٢م). الغزل العذرى دراسة فى الحب المقموع. لبنان: دارالحقائق.